الظاهر والباطن في رواية (ظلمة يائيل): مقاربة سيميائية

The apparent and the hidden in the novel The Darkness of Yael, a semiotic approach

أ.م.د علي حمود السمحي Dr. Ali Hamood Al-samhi	Alsamhiali@gmail.com كلية الآداب – جامعة إب – اليمن
إبراهيم علي نعمان لطف Ibrahim Ali Numan Lotf	Ebrahymalyfrsy28@gmail.com كلية الآداب – جامعة إب – اليمن

تاريخ الإرسال: 2023/12/23	تاريخ القبول:2024/01/22	تاريخ النشر:2024/06/26

الملخص:

حاول هذا البحث، اعتماداً على السيمياء، الكشف عن الدلالة الظاهرة والباطنة في رواية ظلمة يائيل للروائي اليمني محمد الغربي عمران، بالتركيز على بنيتي الشخصيات والفضاء. وسار، بعد المقدمة، في محورين؛ الأول: الظاهر والباطن على مستوى الشخصيات، والآخر: الظاهر والباطن على مستوى الفضاء. وقد خلص إلى جملة من النتائج؛ أهمها: أن بعض الشخصيات تحمل قصة حياة تختلف في نهاية السرد عنها في بداية السرد، وينطوي باطن الشخصيات على دلالات رمزية فكرية وثقافية تجسد معاناة المثقف في حاضر مجتمع الرواية. وتعد صنعاء فضاء للرعب والفقر والاستبداد في الظاهر، وتشير باطناً إلى الاغتراب وخيبة الأمل في التغيير، وتحمل مكة ظاهراً وجهين: وجهاً مضيئاً إيجابياً، ووجهاً مظلماً سلبياً، وتشير في الباطن إلى اهتزاز اليقينيات، وهدم النماذج، والدعوة المبطنة إلى الشك في كل شيء.

الكلمات المفاتيح: الظاهر، الباطن، الشخصيات، الفضاء، ظلمة يائيل، السيمياء.

Abstract: This research attempted, based on semiotics, to reveal the apparent and hidden significance in the novel The Darkness of Yael by the Yemeni novelist Muhammad al-Gharbi Imran, by focusing on the structures of characters and space. After the introduction, it proceeded along two axes: The first: the apparent and the hidden at the level of characters, and the other: the apparent and the hidden at the level of space. He concluded a number of results: The most important of which is that some characters carry a life story that is completely different from the perception formed about them at the beginning of the narrative, and the interiority of the characters contains multiple symbolic connotations. Sanaa is a space of terror, poverty, and tyranny on the surface, and on the inside it indicates various imbalances. Mecca has two faces on the outside: a bright, positive side, and a dark, negative side. Among the connotations related to Mecca on the inside are the shaking of certainties, the demolition of models, and a hidden call to doubt everything.

Keywords: Exterior, interior, characters, space, Yael's darkness, alchemy.

1– مقدّمة: تنطلق هذه القراءة من أن الإبداع الأدبي الحقيقي –بوصفه استعمالًا خاصًا للغة– متعدد الدلالة وأنه إلى الدلالة الضمنية والرمزية أقرب منه إلى الدلالة المباشرة في اللغة العادية، ورواية (ظلمة يائيل) للروائي محمد الغربي عمران من أهم الروايات المعاصرة في اليمن، وتكمن ميزتها في توظيف المتخيل التاريخي للتعبير عن إشكالات في الواقع المعاصر؛ ومن ثم فإنها تجمع بين الظاهر والمضمر؛ فالظاهر أنها تشتغل على أحداث في التاريخ، بينما الباطن أنها تتوسل بالتاريخ للتعبير عن الواقع على نحو رمزي وإيحائي؛ لذلك اتخذناها متنًا لتحليل هذه الثنائية من التجلي والخفاء، وفقًا لمستويين من القراءة؛ الأول يقف عند الدلالة الظاهرة في البنية السطحية، والأخرى تنفذ إلى الدلالة الباطنية،

وذلك بالتركيز على بنيتي (الشخصية والفضاء)؛ لما لهما من تأثير في تحول السرد، ولأنهما في هذه الرواية أهم بنيتين تتجلى فيهما هاتان الدلالتان، ولا تمثل الدلالة الظاهرة غاية البحث، وإنما توطئة للدلالة الأخرى؛ فالدلالة الأولى سطحية قد تكشف عن نفسها بسهولة، أما الدلالة الباطنية فتكمن فيما وراء الشخصيات والفضاءات من دلالات رمزية؛ وبهذا فهي تستدعي جهدًا تأويليًا لسبر أغوارها عبر هاتين البنيتين والكشف عن المخبوء وراء ظاهرهما.

وقد انطلقت هذه القراءة من سؤال مركزي: هل للشخصيات والفضاء في رواية ظلمة يائيل دلالة أعمق من دلالتهما الظاهرة؟ وللإجابة عنه يمكن اشتقاق السؤالين الفرعيين الآتيين:

– ما الدلالة الظاهرة للشخصيات والفضاء، وما حقيقتها التي كشفها الراوي؟

– ما الدلالات الباطنة المخبوءة وراء بنيتي الشخصيات والفضاءات، بوصفها علامة في الرواية؟

وتهدف هذه القراءة إلى الآتي:

– الكشف عن الدلالة الأولية الظاهرة للشخصيات والفضاء في الرواية.

– تتبع الوجه الآخر الظاهر الذي كشف عنه الراوي للبنيتين: الشخصية والفضاء، في رحلته الحياتية.

– استكناه الدلالات الرمزية التي تكمن في الشخصية والفضاء في هذه الرواية.

وكانت السيميائية هي المنهج المناسب، لبحث تمثيل العلامات وتفسير مظاهرها المختلفة[1]، وذلك من خلال بحث الدلالات الظاهرة المتناقضة، والكشف عن الدلالات الرمزية المخبوءة وراء الشخصيات والفضاءات بوصفها علامة.

ملخص الرواية:

تحكي رواية ظلمة يائيل حياة (جوذر)، الذي تركه أبواه للفطرة، لاختلافهما دينيًا، فيائيل اليهودية تتزوج بابن عمها المسلم، الذي قتل فيما بعد في إحدى معارك الإمام، ليعيش ابنهما جوذر دون معتقد، التزامًا بالعهد الذي قطعه أبواه على ذلك، وقد أخذته أمه إلى المعلم صعصعة ليتعلم النقش وزخرفة الحروف في حانوته، وهناك يتعرف على شوذب بنت المعلم الذي قتله أحد الأئمة؛ لانتمائه إلى المذهب الباطني، وتصور الرواية صنعاء وهي تعيش حالة من البطش والظلم المتجدد بتجدد الأئمة الذين يختلفون مع بعضهم ويتفقون في تجويع الناس والتنكيل بهم، ليعيش جوذر حالة من الرفض لذلك الواقع، علاوة على توقفه مؤثرين، صعصعة المسلم، و أمه يائيل اليهودية، وبعد مقتل المعلم يسجن جوذر خمس سنوات لنسخه كتب الفاطميين، ويخرجه الفاطميون بعد تمكنهم من دخول القلعة، يخرج شبه حي، بجسم نحيل متغير، أشعث، يبحث عن أمه فلا يجدها، ويبحث عن شوذب فلا يجدها، يخبره أحدهم بأنه يمكنه أن يجد شوذب في مكة، فقام برحلة تمكن بعد معاناة مصاعب وأهوال كثيرة من الوصول إلى مكة وقام بمحاولات للبحث إلا أنه لم يجدها، ليعود بعد ذلك إلى صنعاء، وهناك تدله أم الجواري على فتاة كانت قد عادت من مكة، إلا أن اسمها (فندة)، وقد دلته (فندة)، التي حسبها شوذب، على مكان وجود أمه التي يلتقي بها وقد شاخت وفقدت الوعي بما حولها.

2- الظاهر والباطن في ظلمة يائيل على مستوى الشخصية:

تعد الشخصية من أهم عناصر الرواية؛ إذ لا رواية دون شخصية، فهي محور ارتكاز الحكي، وتتعدد تعريفات الشخصية بتعدد الاتجاهات النقدية في فهمها والتعاطي معها، و"الواقع أن (الشخصية) الروائية هي محض خيال يبدعه المؤلف لغاية فنية محدودة"[2]، وفي رواية ظلمة يائيل هناك شخصيات تحمل دلالتين؛ ظاهرة وباطنة، على النحو الآتي:

2-1 الظاهر على مستوى الشخصية:

هناك شخصيات يتعرف المتلقي إليها في أول ظهور لها، فترتسم صفاتها في متخيله كلما استجد ظهورها في مسار الرواية، إلى جانب ما يحمله من وجهة نظر حيال كل شخصية من حيث سلوكها ونمط حياتها، وهذا هو الجزء الأول من الدلالة الظاهرة، وقد تتغير بعض الشخصيات في نهاية سرد حكايتها عن وضعها في مستهل سرد حكايتها ، فيتمكن المتلقي، كلما قطع شوطا في زمن القراءة للرواية، من استكمال معرفة حكايات تلك الشخصيات وجانبها المتغير، وكل ذلك يندرج ضمن الظاهر؛ لأن الذي يتولى أمر الكشف هو الراوي وليس المتلقي. ومن الشواهد على ما يمكن أن نعده ظاهرًا على مستوى الشخصية في ظلمة يائيل الآتي:

1-1-2**رسول الحرازي**: يبدو رسول الحرازي في أول ظهور له في السرد شخصية عادية مساعدة في حركة السرد وتطوره؛ فهي بذلك شخصية عابرة متصلة بوظيفة جوذر التي ورثها عن معلمه صعصعة، وهي مهنة النسخ، فهو كما يبدو في الظاهر رسول من لدن الحرازي، صاحب الفكر الباطني الذي يخالف مذهب إمام صنعاء؛ لذلك كان يأتي متخفيًا لطلب نسخ كتب الباطنية، كما يتضح من الحوار الآتي:

قال لي وهو يقترب برأسه يهمس لي:

- أهذا حانوت صعصعة؟!.

- نعم

- وأنت جوذر!.

- نعم.. أنا مساعده.

- جئت لأنقل إليكم تعازي صديقكم الحرازي في وفاة صعصعة.. وأرجو نقل ذلك لزوجته وابنته.

لا أعرف سبب ازرآب جسمي لحركة عينيه يمينًا ويسارًا وهو يحدثني. قلت له

– من تقصد؟.

تغيرت ملامحه متأملًا وجهي.. ثم همس:

– الحرازي يقرؤك السلام.. وقد حملني إليك كتبًا لنسخها.. وهذه الدراهم لتستعين بسرعة نسخهن.. كما طلب مني أن أحمل إليه في طريق عودتي كتبًا كانت قد سلمت لكم مع ما تم نسخه."[3]

وحين آن موعد التسليم انكشف الوجه الآخر لرسول الحرازي:

" وقف أمام دكة الحانوت.. ابتسمت له.. وقلت ممازحًا:

– ألا تلقي السلام أيها الرسول. ثم أعقبت وأنا أحمل إليه الكتب: هاهي الكتب التي جئت من أجلها.

التقط الخباء.. أدخل يده.. أخرج إحداها، قلب صفحاتها.. كنت قلقًا من تصرفه.. وهو من حذرني السرية.. [...].

سريعا ما تجمع المارة.. وصبيان الوراقين.. قدم مجموعة من العسكر.. التفت إليهم رسول الحرازي وقال بصوت لا يخلو من صرامة:

– ماذا تنتظرون.. هيا احملوه؟."[4].

وهنا نكون أمام شخصية تحمل وجهين كلاهما ظاهر، فالوجه الأول هو وجه الصديق المهذب في خطابه، المتسم بالهدوء، الملتزم بالسرية. أما الوجه الآخر فيتسم بالعداوة والخطاب الصاخب المعادي، إلى جانب تعمده فضح سر . وهكذا يمكن اختزال هاتين الصورتين وفقا

لمدى حكاية تعامله مع المعلم صعصعة؛ فله في بداية السرد صورة إيجابية (لكنها مزيفة)، في حين كانت له في نهاية السرد صورة سلبية (لكنها حقيقية).

2-1-2 أسرة صعصعة معلم جوذر: من أمثلة الشخصيات التي تستجيب فرضية الظاهر والباطن في ظلمة يائيل، أما صعصعة فقد كان، في الظاهر، شخصا جيدًا في تعامله، ملتزما بأداء صلواته ومؤديًا واجباته تجاه أسرته وأصدقائه، وكانت زوجته مثال الزوجة الصالحة البارة، وحياتهما خالية من الصخب، وابنتهما شوذب هي الوحيدة في نسلهما[5]. تلك هي الصورة الظاهرة التي تتشكل لدى المتلقي منذ الوهلة الأولى لمصادفته حكاياتهم، لكن التقدم في التلقي يكشف وجهًا آخر لا يحتاج إلى بحث أو تأويل؛ لأنه ظاهر على السطح، صريح في التناول، ويتخذ الراوي شخصية أخرى بوصفها أداة للكشف عن الوجه الآخر، فأرملة صعصعة تكشف جانبًا آخر من حياة صعصعة الذي كان يظهر الوجه الجيد من خلال سلوكه الظاهر؛ إذ تقول مخاطبة جوذر: " كان كثير العلاقات بالنسوان.. أنا على يقين من أنك تكذبني الآن!!. لكن يمكنك أن تسأل أمك!. نعم يائيل، هي تعرف مثل تلك الخيانات..!!. أتعرف لماذا كان صعصعة يخون زوجاته.. بل ويتفاخر بذلك؟. كان بذلك يدافع عن رجولته بتلك العلاقات لا أكثر.. عيون الناس وغمزهم كان يذبحه كما يذبح الطير.. يهمه أن يتحدث الناس عن علاقاته.. خياناته تلك تعيد له الثقة أمامهم وبأن عدم الإنجاب إنما يعود لزوجاته العواقر. وبوجود شوذب أسكتت الأفواه التي تطعن فيه.. احتفى بي أم لشهور.. كنت أعتقد أنه سيكف عن خياناته.. لم أدرك بأن الخيانة أمست في دمه ولا يرى نفسه إلا فيها"[6].

فظاهر صعصعة رجل فاضل، وهو الوجه الذي عرفه(جوذر) في أثناء عمله معه إلى أن قتل؛ لذا ظل يشتاق إليه: "اشتقت إلى المعلم الذي عرفت لا الذي تصوره لي ذات العين الثالثة..."[7]، أما الوجه الآخر فقد تولت أرملته الكشف عنه، حتى إنها لتصوره طوافًا بين النساء وشغله الشاغل الجنس و العلاقات المحرمة، ولا يهمه عش الزوجية، فيغدو شخصية خالية من القيم، وشخصية مريضة أيضًا، تشعر بالنقص؛ لذا يبحث عن تعويض النقص بالارتباطات غير المشروعة.

اختلاف الوجهين جعل أرملة صعصعة تتوقع عدم تصديق جوذر خطابها، لكنها لم تكن بمنأى عن طريق الخيانة، فإذا كانت خيانات صعصعة لإثبات فحولته، بعد أن تعددت نساؤه دون أن يرزق بولد، فقد مثل السبب ذاته مبررًا للبحث عن حيلة لتكون أمًا، ذات طفل: "أخذت أخبار خياناته تصلني.. جاهدت للحفاظ عليه.. كانت طريقي غير مأمونة.. لم أترك حيلة حتى جئت له بشوذب"[8].

فقد جاءت شوذب بالحيلة، يؤكد ذلك قولها: "لا أحب أن تذكرني بتلك الليالي التي كنت أهدهد فيها شوذب إرضاء لأبوة مزيفة"[9]، فشوذب، إذًا، ليست ابنة المعلم، كما يخبرنا السرد المنقول، وإذا صح ذلك فهناك ما يشير إلى عدم نسبتها إلى أرملة صعصعة التي هي أمها في الظاهر، ذلك ما نستشفه من الخطاب المنقول عن أم جوذر، إذ تحتفظ بذلك الخطاب زوجة إمام الجامع ليتعرف جوذر إلى الحقيقة، فقد كانت يائيل، أم جوذر، ذات خبرة بمداواة النساء وتجميلهن، ومن تلك النساء أرملة صعصعة التي كانت تبحث عما يبقيها في ظل زوجها، كما تقول أم جوذر: "تبحث عن سبب يبقيها وكان ينتظر منها خلفًا.. بحثَت عمن يعينها على ما يريد.. لتلجأ إليّ.. وكانت شوذب قرة عين والديها.."[10].

وإذا كانت أم جوذر قد استعملت لفظتي (والديها)، (الأب)، فإنه على سبيل النسبة إلى الظاهر، فهناك ما يشير صراحة إلى عدم انتساب شوذب إليهما، إذ تقول أم جوذر: " قالت لي شوذب: إن أمي تلاحق جوذر وتغار عليه مني... تهيم به عشقًا.. وتتهمني بأني أريده لي.. صرخت في وجهي أنت لست ابنتي [...] عليك بعد اليوم أن تعرفي بأنك لست ابنتي وأن صعصعة لم يكن ذا نسل.. ثم طردتني من دارنا!"[11].

وهكذا كان السرد اللاحق لحكاية كل شخصية كاشفًا حقيقة الشخصيات في ظلمة يائيل؛ فصعصعة لم يكن ذلك الشخص اللطيف المتدين، وامرأته لم تكن صادقة معه، حتى إنها بعد موته تعلقت بجوذر صديق شوذب. وإذا كان الظاهر انتماء شوذب إلى صعصعة

وزوجته، فهناك ما يزيل ذلك الانتماء تدريجيًا (لم أترك حيلة حتى جئت له بشوذب)، (إرضاء لأبوة مزيفة)، وإذا كان هناك احتمال أن تكون زوجة المعلم هي أمها من شخص آخر، فإن هناك ما يزيل هذا الاحتمال (أنت لست ابنتي)، ويأتي التصريح الجامع (عليك بعد اليوم أن تعرفي بأنك لست ابنتي وأن صعصعة لم يكن ذا نسل)، فشوذب مجهولة الأبوين ولا تربطها بصعصعة وزوجته علاقة ارتباط حقيقي.

3-1-2**النخاس**: تبدو شخصية النخاس في الظاهر شخصية سلبية؛ فهو محتال، عديم الإنسانية، ويمكن استحضار مجموعة صفات سلبية دفعة واحدة حين تطلق مفردة النخاسة عليه، وظلت معلمًا، وإن غاب اسمه في الرواية، فلأن المقصود هو الدلالة، وما يهمنا هو الظاهر، ووظيفته الظاهرة جلب الغلمان والجواري وبيعهم، ومن الطرق التي اتخذها في الجلب الاصطياد والاقتياد عنوة، ذلك ما نستشفه من حواره مع جوذر، حين اشترط عليه أن يساعده في جلب عبيد جدد، مقابل مساعدته في البحث عن شوذب محبوبته، ويتساءل الراوي عن قدراته، فهو شخص ضعيف، فيجيبه النخاس: "بالحيلة يتغلب الضعيف على القوي!"[12].

أما الوجه الآخر للشخصية الملتحمة بوظيفتها التي عرفت ووسمت بها فتبدو من خلال مبرراتها، كما يفصح عن ذلك النخاس قبل موته، من أن وظيفته التي ورثها عن أبيه، وهي الأحجبة والرقي.. وفصد الدم، كانت جالبة لكثير من الناس، وحين امتنع عن أداء هذه الوظيفة ترك أحدهم ابنته الشابة وذهب معلنًا أنه وهبها لوجه الله، ثم قلده البعض وتكاثر الواهبون، ولم يستطع إطعامهم، وما يمده الإمام من طعام لا يكفي، وهكذا حتى تطور الأمر إلى بيعهم وفتحت شهية الرجل وتغيرت طباعه فلم يكتف بالهبات بل استعان بمن يجلب له الصبايا والغلمان، ليتسع نشاطه ويتحول إلى نخاس[13]. فليست مهنته النخاسة

ولكنها فرضت عليه؛ لأن الصبايا والغلمان شكلوا عبئًا جسيمًا، فهو عاجز عن تغذيتهم، فضلًا عن تربيتهم.

وهكذا تمثل الظاهر على مستوى الشخصية في وجهين مختلفين، الأول يظهر في بداية سرد حكاية الشخصية، ويسهم في تكوين انطباع أولي لدى القارىء عنها، ويمثل الوعي الأول لدى الراوي عن الشخصية، ثم يأتي الوجه الثاني الذي يكتشفه الراوي عبر خبرته وتجربته الحياتية، ويكون الاكتشاف في الغالب متأخرًا.

2-2 الباطن على مستوى الشخصية:

يقصد به الدلالات الرمزية التي يستخلصها المتلقي من السرد، بعد إكمال قراءة الرواية، فلكل شخصية دلالاتها بحسب موقعها وسلوكها ووظيفتها، وهي على النحو الآتي:

2-2-1**رسول الحرازي**: لقد كانت شخصية رسول الحرازي مثال الشخصية الماكرة التي تتبع السلطة(جاسوس)؛ فقد كانت نهاية حكايته كفيلة بالكشف عن هذا الوجه الحقيقي له، بقدر ما تنطوي حكايته على وجه باطن في النص مختلف عن الظاهر السطحي، وهو على النحو الآتي:

- إذا كان في الصراع بين الأديان خطر على الإنسان فهناك صراع آخر أخطر، هو صراع المذاهب في الدين الواحد، لاسيما حين يستولي مذهب ما على السلطة بالقوة؛ إذ تتحول إلى سلطة مستبدة بمواطنيها بشكل عام والمنتمين لغير مذهب السلطة على نحو خاص، وذلك بالسعي إلى إزهاق الآخر مباشرة أو التخلص من المخالف أو المعارض عبر أساليب غير أخلاقية كالحيلة أو التجسس والخداع، وهي بهذا تخالف الدين الذي تتقنع به، وتسهم من ثم في تشويه الصورة السامية للدين بوصفه ملاذا للمحبة والحرية والحقيقة؛ وهو ما يؤدي إلى إحجام المقبلين عن الدخول فيه، كما تجلى ذلك في ما تولد لدى جوذر إزاء وشاية رسول الحرازي التي تسببت في قتل معلمه صعصعة الذي ينتمي للمذهب

الإسماعيلي، ثم أوقعت بجوذر في السجن؛ من هزة في الوعي دفعته إلى الانكفاء على نفسه.

– الطريقة التي اعتقل بها جوذر (وشاية رسول الحرازي) تصور حال المثقف العربي الذي يمكن أن يتعرض للضرب والسجن وربما الموت، لاشتباه عابر بمعارضته خط الثقافة الذي ترسمه السلطة الحاكمة؛ بالقدر الذي يعري خوف السلطة من الثقافة وقلقها من دور المثقف غير المنتمي لخطها؛ ولذلك فهي عبر"المؤسسات الرسمية.. تحاول ترسيم الثقافة وتدجينها وتطويعها لخدمة مصالح وأهداف النظام السياسي القائم، ومن ثم أصبحت الثقافة السائدة هي التي تعبر عن مصالح الفئات والطبقات الاجتماعية التي تتمتع بنفوذ اجتماعي واقتصادي وسياسي"[14]؛ وبهذا فإن اعتقال جوذر الذي لم يكن مسلمًا حتى يؤخذ بجريرة الانتماء لمذهب إسلامي، يصور المفارقة في مسلك الدولة المذهبية التي لا تميز؛ فالطريقة التي اعتقل بها يمكن أن تستخدم للإيقاع بالمعارض الخصم، وقد يكون الشخص الخطأ،الذي لا صلة له بالمعارضة، وحرية المواطن فيها تنتهي حين يبدأ في المعارضة أو الاشتغال في جهات مختلفة لا تتبع الساسة ومادام جهازها الاستخباراتي مؤسسا على الخديعة والمكر والاحتيال، فيمكن أن تكون الشخصيات المستقلة– كحال جوذر الذي يعيش على الفطرة– ضحية ذلك.

– أن مصير المواطنين في ظل الدولة القمعية سواء في التاريخ أو الحاضر، مرهون بجهاز استخباراتي قوامه شخصيات مريضة سلوكيا وأخلاقيا كالنخاسين، والجواسيس، فوشاياتهم لا نقاش فيها، و قراراتهم لاهوادة فيها، وليس هناك تحقيق أو سماع للضحية، وليس هناك مدة محددة للعقوبة.

2–2–2أسرة صعصعة:

– في مستهل الرواية ظهر صعصعة بوجه إيجابي؛ فهو لطيف في التعامل، وهو شخص متدين محافظ على صلواته، بل قد يكون إمامًا للناس في الجامع، إلا أنه بالمضي في قراءة الرواية يتكشف أن له وجهًا آخر في حياته الشخصية، غير ما كان يظهر للناس، ولعله بذلك يغدو علامة إيقونية على المذهب الإسماعيلي، وهو مذهب باطني يؤمن بأن لكل شيء ظاهرا وباطنا، كما تعد (التقية) مرتكزًا أساسًا لهذا المذهب في الفكر والسلوك، وفي جمع شخصية صعصعة بين هذين الوجهين توافق مع مذهبه.

– يمكن أن يكون صعصعة رمزًا للسلطة؛ لأنه بعلاقته مع كثير من النساء يسعى لإظهار الفحولة، التي ترمز للسلطة، وإذا كان كذلك فإن تلك السلطة تظهر بوجه إيجابي(مزيف) وتخفي فسادها وسلبياتها التي تشكلت من خلال الخيانات والعلاقات اللاشرعية. أما وظيفة النسخ والنقش فهما غطاء للتمويه ومعبر استقطاب لإيصال الأفكار الإيديولوجية إلى عقول الناس البسطاء، في ظل سلطة ما؛ أي ظاهرها ثقافي وباطنها إيديولوجي يستهدف نشر فكر السلطة وتطبيعه في أذهان الناس وسلوكهم، وبالمقابل يعد فعل النسخ أو النقش– بتضمنه دلالة الإثبات والمحو – تمثيلا رمزيا لعنف السلطة الثقافي الذي تمارسه على وعي البسطاء الفطري، وقد مثل جوذر، حين تركه أبواه على الفطرة، صفحة بيضاء أمكن لصعصعة أن ينقش فيها كما يريد، وعند تحول السلطة لطرف آخر سيعمل على طمس ما رسخته السلطة السابقة من نقوش في الأدمغة؛ تماما كما مارست أرملة صعصعة بعد وفاته، طمس ما نقش زوجها في عقل جوذر، وهكذا فاللاحق يحاول جادًا طمس السابق، لا لشيء إلا لتثبيت فكر آخر؛ أي التخلية تمهيدا لإحلال غيره.

– أن التابعين لسلطة ما قد يتخذون كل الوسائل المزيفة لإرضاء السلطة، ولن يظهر ذلك الزيف إلا بعد زوالها، لتبدأ مرحلة أخرى في تقديم الذات، فالمظهر عند كليهما غير الجوهر، وذلك نستشفه من حكاية صعصعة الباطنة وأرملته التي كشفت حكايتهما في الحياة بين خياناته وحيلتها.

– لما كانت شوذب رمزا للحقيقة، فإن في حرص الرواية على كشف أنها لا تنتمي في الأصل لأسرتها التي عرفت بين الناس بانتمائها لها؛ إشارة إلى أن الحقيقة لا تنتمي لأب خائن وأم خائنة، ولايمكن أن تعيش الحقيقة في المجتمع الذي تعد هذه الأسرة عينة منه.

– إذا كانت الدلالة الرمزية لشوذب هي الحقيقة، فإن اختفاءها عن جوذر رمز الباحث عن الحقيقة، وتغير صورتها عن تلك التي ظهرت لوعيه، في مرحلة عمرية، وبقاءها مجهولة عنه، واستمراره في البحث عنها ينطوي على معنى فلسفي عميق يتمثل في أن لا يقين ثابت ولا قناعات مطلقة، ومن ثم فإن التسليم لما هو مألوف بحكم المعايشة أو النظر من زاوية العاطفة أو الظاهر بأنه الحقيقة، ليس المسلك الصحيح في اليقين، بالحقيقة؛ إذ لا يمثل سوى بعد من أبعادها، أو وجه من أوجهها، وإنما يقتضي الأمر ضرورة البحث المستمر عنها، والطريق القويم للبحث يبدأ من الحيرة والشك والتساؤل. وإذا كان أسئلة أرملة صعصعة و أمه يائيل؛ قد أحدثت هزة في وعيه بشوذب بعد اختفائها، إذ تقول أرملة صعصعة: "قد تقول أنك عرفتنا منذ سنين.. صعصعة.. ماذا تعرف عنه؟! ماذا تعرف عني.. أو حتى عن شوذب التي أراك منشغلًا بها؟"[15]، أما أمه فتستفزه بالقول: "أتعرف من هي شوذب؟"[16]؛ فإن تشكيكه بكل من حوله دليل على تغير وعيه في فهم حقيقة الذات والآخر، وتحوله عن الظاهر إلى العمق؛ يقول : " تبدو أمي هي الأخرى كائنًا آخر غير الذي عرفته.. كنت أعتقد أن من حولي لا يتغيرون.. أمي.. شوذب.. المعلم.. زوجته.. حتى أنا لم أعد أنا!"[17]. وهكذا شكك جوذر بنفسه و بكل ما حوله عدا شوذب؛ لأنها في العمق رمز للحقيقة، و استمر في البحث عنها إلى آخر الرواية.

3-2-2النخاس:

– لما كانت مهمة النخاس في مجتمع الرواية هي توفير ما يتطلبه الحاكم من فتيان وفتيات يخدمونه ويشبعون نزواته وغرائزه، فهو رمز لأدوات السلطة التي تستعين بها

للاستعباد، يؤكد ذلك قوله عن الداعي الصليحي الذي كان يقتاد الفتيات والفتيان إليه، في سياق حديثه عن فتاة: "أرسلتها وخمسة من الفتيان للداعي الصليحي.. الذي كان يعد الفتيان كمقاتلين ودعاة للمذهب.. والفتيات كمحظيات.."[18]. وذلك يؤشر إلى جملة من الدلالات الباطنية التي تنطوي عليها حكاية هذه الشخصية أسهمت في تجسيد رؤية السارد ومقاصده في تعرية أمراض السلطة والشعب في مجتمع الرواية:

– تشير حكاية النخاس إلى أن الواقع الاستبدادي يصنعه السواد العام من الأمة، فهم حين يقدمون أنفسهم للنخاس بوصفهم عبيدا؛ يعني أن ثمة قابلية لديهم للاستعباد، ومن ثم فإن الخضوع للسلطة دون أي اعتراض أو مقاومة هو الذي قوى فعل الاستبداد.

– الإلماح إلى الجهل بوصفه العامل الأساس للتبعية المطلقة التي تصل حد العبودية، فمعرفة النخاس البسيطة بالقراءة والكتابة أضفت عليه القداسة في نفوس الناس وقادتهم إلى التبرك والقدوم عليه طلبًا للرقي والبرء من الأمراض، ثم إن طلب الأحجبة وترك شابة لرجل أجنبي، والتخلي عنها لوجه الله، ليتم بيعها في الأسواق لهو أشد الجهل، كما أن ذلك التصرف يحمل دلالة القسوة والجلافة والجفاء العاطفي في مجتمع الرواية.

– كشف تناقض من يدعون الحكم بأمر الله في الظاهر يكذبهم الواقع فمخالفتهم لشريعة الله هي أول اختبار.

– قد يكون الجمهور سببًا في تحويل السلطة المستبدة بفعل الانصياع والذل في فتح شهيتها حتى تتوسع في إخضاع رقاب الناس وممارسة تلك الوظيفة بوصفها هواية.

4-2-2جوذر:

– يبدو إطلاق اسم (جوذر) على الراوي تسمية غير بريئة؛ فهي مشحونة بدلالات متعددة، منها عدم انتماء هذا الاسم لأي مرجع ديني أو مذهبي؛ على عكس اسم صعصعة ذي الدلالة المذهبية الصراعية؛ إذ يرتبط هذا الاسم في الذاكرة الشيعية بصعصعة

بن صحوان أحد أصحاب الإمام علي المقربين الذي تميز بهمارته في الخطابة التي وظفها في مواجهة المعارضين؛ ومن ثم يتوافق صعصعة بوصفه شخصية في الرواية مع تلك الظلال التراثية؛ فهو ينتمي للمذهب الفاطمي ويستغل مهاراته في النسخ والنقش في خدمة مذهبه والدعوة إليه. وكذلك اسم (شوذب) إذ ينطوي في إيحائه بالتفرد في الوجود عامة سواء في عالم الإنسان أو الحيوان، على معنى تمييزي ثقافيا وطبقيا- فشوذب من الرجال الطويل ذي المظهر الحسن وهو من الناس النجيب ومن الجمال الأصيل والنجيب- كتفرد الرجل الطويل ذي المظهر الحسن على ما سواه من الرجال وتفرد النبيل من الناس عن سائر الناس وتفرد الجمل النجيب على سواه من الجمال غير النجباء- وبهذا فإن اسم(شوذب) يختزل بهذه الدلالات الكمال في الوجود (الإنسان والحيوان)على مستوى المظهر الشكلي الحسي، والباطني(الخلقي/النبل)، وندرة الوجود(الأصالة)، وهو ما يجعل التسمية متوافقة مع الدلالة الرمزية- لشخصية شوذب في الرواية- على الحقيقة؛ فهي تجمع صفات الحسن الخلقية والخلقية والسلوكية وهي صفات مغرية بالقرب منها والتضحية في سبيل البحث عنها، كما صار مع شخصية جوذر في الرواية. بينما يشير اسم جوذر إلى البيئة الطبيعية؛ فهو- بوصفه ولد البقر الوحشي- يشير إلى الفطرة والجمال والرقة والبدائية؛ لذلك كما استعارت الثقافة العربية(جوذر) لاسيما الشعر لتصوير تفرد النساء الحسناوات عن غيرهن، فقد أطلق- على الراوي في(ظلمة يائيل) والشخصية المحورية- اسم جوذر كناية عن تفرده عن سائر مجتمع الرواية (رجال سلطة، ورجال دين، وأتباع مذاهب) الذي تنتمي فئاته إلى مرجعيات دينية وثقافية، ويتصارعون فيما بينهم كالوحوش من أجل السلطة، بينما هو لا ينتمي إلا إلى ذاته الفطرة وفنه وهو بتلك الهوية الفنية في الخط والنقش والزخرفة يصبح نسيج وحده، مع ذاته يعيش غربته وتيهه، ومع ذلك فلم تسلم نفسه من آثار صراعاتهم، كالجوذر (ولد البقر الوحشي) المتفرد بكينونته اللطيفة الرقيقة في مجتمع الصحراء، التائه بين حيوانات متوحشة.

– إن عدم تقدير ذلك التفرد والمعاناة يجعلان منه رمزا لمعاناة المثقف الحر غير المنتمي للكيانات الحزبية المتصارعة، حين لا يكون التقدير لذات الإنسان وإنما لمعتقده.

– فشل جوذر في الوصول إلى الحقيقة وانسداد الأفق أمام أسئلة العقل مؤشر على أن البلدان التي تحكمها الصراعات الطائفية؛ بيئة غير صالحة للإبداع الإنساني ولا تساعد على التفكير الحر، والإصغاء للعقل كي يوصل صاحبه للحقيقة؛ بل تصبح عامل تشويش على العقل؛ فيدخل صاحبه في دوامة من الحيرة والاغتراب العقلي والروحي، عكس ما لو وجد في بيئة غير إنسانية لكان وصل إلى الحقيقة كحال حي بن يقظان. ومن ثم تتولد دلالة عميقة تتمثل في أن إعمال العقل في بيئة كهذه محنة مضاعفة للمثقف إلى جانب محنته الوجودية ويجعل منه معادلا للوعي الشقي؛ كما شكلت يقظة جوذر العقلية في فضاء الرواية المحموم بالصراعات الطائفية؛ منعطفًا مفزعًا، في الوعي؛ فانكفأ إلى ذاته؛ يبحث عن أجوبة لأسئلة مصيرية تثار في ذهنه، علها تسعفه ببعض الأمن النفسي الذي يأمل أن تهدأ به ثائرته، وملازمة تلك الأسئلة وإلحاحها وتأثيرها على إيقاع حياته في هذه المرحلة جعلها مرحلة مظلمة، خلافًا لمرحلة الطفولة المضيئة حيث كانت الحقيقة طافية على السطح: "أغمض عيني هروبًا من جحيمي.. أبحث عن نور بداخلي.. نور يواسي غربتي.. أحاول نسيان جسدي وعذاباته.. أن أرحل بخيالي إلى نور الحياة الماضية.. إلى صنعاء حلقت بعيدًا.. بعيدًا.. أخذت تلك الروائح والأصوات تخفت أصوات ظلمة الله.. خرجت روحي تسبح خارج تلك المحنة.. رأيت ذكريات الأمس يوم كانت شوذب صبية صغيرة.."[19]؛ فشوذب التي ترمز للحقيقة كانت ترى قبل نضجه بوعيه البسيط؛ لأنه لم يبدأ بعد البحث عن الذات/ الحقيقة.

– إن بحث جوذر المضني عن شوذب أو اليقين يضمر دلالة باطنية هي أن الوصول إلى الحقيقة ليس بالأمر اليسير، فحين تجد نفسك قريبًا من ضياء الحقيقة، قد تكون، في الواقع، أقرب إلى الظلمة؛ ولذلك كانت الظلمة أقرب إلى جوذر أكثر من شوذب التي كان

على موعد بلقياها، فالحقيقة طريقها صعب ومحفوف بالمخاطر ويتطلب الصبر، ويمر الباحث عنها بمرحلة امتحان؛حين يتكشف لوعيه منها خلاف ما استقر في لحظة ما، كما تكشف هذا الوعي لدى الراوي/ جوذر، في مواقف متعددة أن ما كان يعده حقيقة يخفي وجهًا آخر خلافًا للظاهر؛ لذلك أحس بالاغتراب، وطمس الكثير مما كان يظنه حقيقة سابقًا، نحو حقيقة صعصعة، شوذب، وغيرهما[20]، حتى أمه: "تبدو أمي هي الأخرى كائنًا غير الذي عرفته.. كنت أعتقد أن من حولي لا يتغيرون.. أمي.. شوذب.. المعلم.. زوجته.. حتى أنا لم أعد أنا!"[21].

– أن مساءلة جوذر للثوابت والتشكيك فيها وكشف ما يتوارى خلف ظواهرها من زيف في الأفكار والممارسات مؤشر إلى أن المثقف الحقيقي لا يجاري المتداول في حياة المجتمع ولا يخضع لما يسود فيه من قناعات؛ لأن انتشار فكر ما لا يمثل الحقيقة لمجرد شيوعه والإجماع عليه، فذلك صنيع السلطة، بينما الحقيقة قد تكون لدى المختلف النادر؛ لهذا تضيق به السلطة؛ فهي "لا تخاف من شيء قدر خوفها من تفلت النماذج المختلفة عن قوالبها المقننة؛ لأنه إيذان بضعف السيطرة على الواقع والعجز عن مراقبة التداول الثقافي"[22]؛ ولذلك مثَّل بقاء جوذر على الفطرة، وصبره على ظلمة السلطة شكلا من أشكال مقاومته للفكر الشائع الذي لا يمثل الحقيقة.

نخلص إلى أن الباطن على مستوى الشخصية يكشف دلالات متعددة، ومفتوحة على المستوى السياسي والثقافي والاجتماعي، فالرواية تستعين لتصوير محنة المختلف في لحظة إنتاجها بحكاية شخصية من شخصيات التاريخ (جوذر) تتماثل– فيما نالها من معاناة في مسعى بحثها عن الذات و الحقيقة(شوذب) في ظل توالي سلطات مستبدة– مع معاناة المثقف المعاصر في ظل السلطة التي تحكم مجتمع الرواية في الحاضر، وبقدر ما جعلت

من سيرة هذا الفنان حكيا مضادا للتاريخ الذي همش الأصوات المغايرة؛ اتخذت منه رمزا لنضال المثقف في مواجهة ما يكتنف الحاضر من زيف واستبداد وعنف وحروب وفساد وكراهية، وما يتحمله من تضحيات في سبيل تحقيق الحلم المنشود (المدينة الفاضلة) بديلا عن الواقع.

3- الظاهر والباطن على مستوى الفضاء:

يعد الفضاء مكونًا مهمًا في الرواية إلى جانب الشخصية؛ فهما الأساسان اللذان تنهض عليهما، فلا تستغني الرواية بالشخصية عن الفضاء، بالقدر الذي لا تستقل الرواية بالفضاء عن الشخصية [23]. وعلى الرغم مما بين الفضاء والمكان من تداخل وافتراق فإن " مجموع هذه الأمكنة، هو ما يبدو منطقيًا أن نطلق عليه اسم: فضاء الرواية، لأن الفضاء أشمل، وأوسع من معنى المكان. والمكان بهذا المعنى هو مكون الفضاء. ومادامت الأمكنة في الرواية غالبًا ما تكون متعددة، ومتفاوتة، فإن الفضاء يلفها جميعًا. إنه العالم الواسع الذي يشمل مجموع الأحداث الروائية."[24].

وتناول الظاهر والباطن على مستوى الفضاء لا يقتصر على دلالة تسميته، وإنما يتجاوزه إلى دلالة آليات تشكله ومظاهره وطبيعة ساكنيه، ودلالات كل تلك المظاهر والطبائع، وقد اقتصرنا على فضائي صنعاء ومكة؛ لأن صنعاء تعد فضاء الانطلاق ومكة فضاء الهدف والغاية في رحلة الراوي للبحث في الثانية عما افتقده في الأول.

3-1 الظاهر على مستوى الفضاء

3-1-1 فضاء صنعاء المفتوح:

تبدو صنعاء مدينة صراعات متتابعة، وكل إمام يأتي بفكر ينقض سابقه، وادعاءات بفساد السابق ووعود بالإصلاحات، وفي كل تحول يخيم الرعب على المدينة، وتفوح روائح القتل والسلب والحرق، ويموت البعض جوعًا وخوفًا، وقد يكون السلب والنهب بفتوى من

الإمام الجديد الذي ينوي دخول صنعاء عنوة، يقول الراوي: "كانت تلك القبائل التي رحلت عن المدينة بغنائمها.. بعد أن اجتاحتها بفتوى من إمام صعدة أبي الفتح الملثم عقب أن أرسل رسله إلى إمام صنعاء يدعوه للدخول في طاعته.. وحين رفض.. أفتى بإباحة المدينة للقبائل المناصرة له، شريطة إيصال رأس من يدعي إمامته عليها"[25]. وتروي أم جوذر مثل هذه الحالة، وذلك في عهد المظلل بالسحاب، الذي حكم صنعاء عقب انهزام الإمام الملثم: "لم تسلم منازل وحوانيت أبناء ملتنا من نهب قبائل المظلل بالسحاب.. بل إن القبائل قتلت من دافع عن بيته أو مانع من تسليمهم متاعه.. وخطفوا صبايا وصبيانًا.. ليست هي المرة الأولى التي أعيش سلب قبائل صاحب دعوة بإمامة.. فمرات عديدة تهب القبائل لنصرة داع جديد.. يبيح لهم مقابل نصرتهم له نهب المدينة"[26].وبهذا فصنعاء فضاء مستباح؛ إذ يشهد في كل منعطف أو تحول كارثة النهب،علاوة على الدمار والقتل.

2-1-3 فضاء صنعاء المغلق (السجن):

الدلالة الظاهرة للسجن في الرواية تشير إلى أنه فضاء للاستبداد والاضطهاد والقمع؛ فلم تكن هناك تهمة حقيقية تدين جوذر أو جريمة كان متلبسًا بها في أثناء القبض عليه؛ إذ اعتقل عن طريق الحيلة؛ فقد سلمه أحد أزلام الإمام كتبًا تخالف معتقد الإمام، مدعيًا أنه رسول الصليحي(أحد دعاة الإسماعيلية)في حراز، ليتم القبض عليه بتهمة الترويج لكتب الشرك والزندقة، يوحي بذلك قول الراوي محاورًا ذاته: " أين أنا؟. كل ما حولي ظلام أسود ولم أر مثيله.. همهمات.. كلمات متفرقة.. حاولت فتح عيني على اتساعهما.. علي أميز شيئًا.. تتردد كلمات العسكري في مسمعي حين سألته.. إلى أين تذهبون بي؟ إلى جهنم!!"[27].

كما أن في تسمية السجن ب(ظلمة الله) التي أطلقها الراوي، ما يكثف بشاعة الصورة و يختزل معاني ما يعتمل في السجن على المستوى الحسي والنفسي والمعنوي، من

ألوان العنف ضد السجناء كالظلمة والأحداث المرعبة التي تتوالى كل يوم، وأشكال التعذيب كالضرب والركل والتحرش والمرض ودعوات مختلفة في السجن، وموت البعض والقذف بهم في "النُّقْرة"[28]؛ و ذلك يجعل منه رمزا لما تمارسه الدولة من عنف وإرهاب ضد المعارضين لها أو المخالفين لمذهبها، لدرجة أن بعض المسجونين قد فقد صوابه منذ أن وطأت قدماه هذا الفضاء ومنهم من كانت نهاية حياته آنذاك، وذلك نتيجة الظلمة المطبقة[29]؛ فالظلمة- إذًا- هي مصير جوذر الضعيف، ومصير أمثاله المعارضين الضعفاء؛ إذ الواقع تحكمه سلطة قمعية استبدادية، ومن السهل الإيقاع بالخصم عبر وسائل مختلفة ومنها الحيلة والخديعة، ويغيب التحقيق قبل السجن وأثناءه، ويعد السجن مصيرًا مؤبدًا ما لم تحدث متغيرات سياسية.

3-1-3مكة:

تبدو مكة فضاء محاطًا بالجبال من كل جانب، فهي أشبه بقبر، كما يصفها الراوي : "رأيت مكة جنينًا تحتضنه جبالٌ جدباء موحشة.. شبيهة بقبر محكم.. دخلا شوارع موحلة.. يتلفت قلبي وسط معان بائسة.."[30]. وإذا كانت الكعبة والبيت الحرام من أهم معالم مكة ويرمزان للطهر والنقاء وقد تزينت مكة بهذه المعاني واكتسبت قدسيتها من معالمها وحضورها الديني والروحي، فهي قبلة المسلمين ومهوى الزائرين والحجاج، وذلك هو وجهها الديني؛ فإنها من حيث الوجه السياسي لا تختلف عن صنعاء، في احتكام ولاتها للقوة، فشريف مكة، مثلًا، ينقلب على بعثة الصليحي بعد أن وصله خبر مقتله، وفي ساحة المسجد أيضًا تكون مشاهد القتل والتنكيل، يقول الراوي على لسان جعدن واصفًا حصار البعثة في القصر ومن ثم التنكيل بهم: "فلجأ عسكر الشريف إلى حرق بوابات سوره واقتحامه.. ليفر معظم من في الداخل، متجاوزين الأسوار.. كنت واحدًا من الفارين.. اقتادوا من وجدوا بداخله إلى شارع الصفا.. يتقدمهم (المقدمي) مسحوبًا. أوثقوهم إلى عمود وسط الميدان وباشر عسكر الشريف بسلخ جلودهم أحياء.. ثم ثقبت أذرعهم

وأكتافهم وسيقانهم.. لتُحشر فتايل في جروحهم.. ويعلقوا بخطاطيف من أرجلهم.. ثم أشعلوا تلك الفتايل.. وتركوهم معلقين يحترقون حتى فاضت أرواحهم إلى باريها.. فقئت أعين العجائز من العبيد والإماء ليتركوهم يتسولون الطرقات.. كل ذلك أمام تجمع الناس هنا في ميدان المسجد.. لتضم الشابات إلى إماء الشريف..."[31].

وإذا كان لمكة بوصفها فضاء دينيا صورة مقدسة فهي قبلة للعابدين والتائبين، فإن لها وفقا لإيقاع الحياة الاجتماعي الذي تصوره الرواية صورة سلبية؛ فهي دنيا للفتنة وفضاء للهو والعبث، توحي بذلك النوادي الليلية الممثلة بالأخوانيات: "وعدتنا أم فاطمة بعد أن نقدناها ببعض المال بأن تصطحبنا إلى دنيا ليل مكة.. دنيا كل جميل.. قال إن كانت من تبحثون عنها فاتنة فلن نجدها إلا في دنيا الفتنة.. لم أدر ما تعني بدنيا الفتنة.."[32]، ودنيا الفتنة هي منتديات ليلية مختلفة، وقد وصفها جعدن رفيق الراوي بأماكن الهلاك، مخاطبًا الراوي: "إذا أردت ذلك عليك أن لا تقودني إلى أماكن الهلاك تلك.. زنا وخمور وحشيش.. لا أريد معصية إلهي"[33].

ذلك هو ظاهر مكة كما تصورها الرواية: كينونة مزدوجة؛ فهي فضاء جغرافي عادي تحيط به الجبال، وهو مهوى للعباد الذين يأتون من كثير من البلدان، بقدر ما هي فضاء للمكر والبطش والقتل والاستعباد، ولا يمنع كونها فضاء مقدسًا في ظاهره، أن تكون فضاء للهو واللعب وممارسة الرذيلة.

وهكذا كان الفضاء في رواية ظلمة يائيل على مستوى الظاهر فضاء خراب وهدم وسلب ونهب واستبداد فكري، كما هي حال صنعاء، وفضاء مغلقًا للظلم والقهر الإنساني، وهو مصير مؤبد ما لم تحدث متغيرات سياسية. وكما تمثل مكة فضاء للسلام والطهارة والنقاء فجانبها الآخر يحمل دلالة المكر والبطش والقتل إلى جانب اللهو والفساد الأخلاقي.

2-3 الباطن على مستوى الفضاء.

1-2-3 فضاء صنعاء المفتوح:

يوحي ظاهر صنعاء، وفقا للسياق التاريخي الذي تدور فيه أحداث الرواية، إلى أنها مدينة صراعات؛ فقد ذكر الراوي سنة435هـ زمنًا تاريخيًا للأحداث التي عاشها، وأبرز تلك الصراعات هي الصراعات الطائفية، غير أنها في الباطن صراعات سياسية، على الحكم والتحكم في رقاب الناس ومعاشهم. وفي ضوء ذلك ينطوي فضاء صنعاء على مستوى الباطن على الدلالات الآتية: – لما كان استدعاء التاريخ في هذه الرواية أداة للتعبير عن مجتمع الرواية في الحاضر، فإن ما يعتمل في فضاء الرواية (صنعاء)من صراعات في تلك المرحلة من تاريخها يجعل منها معادلًا رمزيًا للصراع الذي يحكم إيقاع الحياة في حاضر هذا الفضاء، لما بينهما من تماثل في البواعث والمآلات، و في ذلك دلالة على أن صنعاء قدرها أن تكون ضحية للصراعات على مدى الزمن؛ إذ لم تتخلص من الصراعات المذهبية على الرغم من اختلاف الزمن وتغير الأنظمة؛ فالصراع في حاضرها امتداد للصراع في تاريخها.

– أن صنعاء ضحية لأطماع وصراعات من خارجها؛ فغالبًا ما يكون الصراع بين طرفين، كلاهما ينتميان إلى خارج صنعاء، والضحية هي صنعاء، وهناك إشارة إلى أبعد من ذلك، وهي أن التدخلات الخارجية في شأن الصراعات اليمن، أكثر ضحاياها هم المهمشون والأقليات.

– أنها فضاء لتوالي الفوضى والخراب والفساد واللااستقرار مهما تغيرت وجوه الحكام وذلك نابع من الواحدية في مرجعية عقل السلطة القائم على الفيد(تفييد المناصرين)، فكل حاكم يدعي فساد السابق، وأنه جاء للإصلاح، إلا أن الحقيقة التي يكشف عنها السرد أن حكام صنعاء –مهما اختلفت وجوههم– متماثلون في السلوك التخريبي؛ فكلهم يدمر صنعاء وينهك أهلها، وذلك جعل دلالة التغيير تنحو منحى آخر؛ غير البناء والتعمير المتوقع إلى الدمار والخراب والبطش، والسلب، ولا يقتصر الحال على إمام دون آخر، تقول أم جوذر: "ليست المرة الأولى التي أعيش سلب قبائل صاحب دعوة بإمامة.. فمرات عديدة تهب القبائل لنصرة داع جديد.. يبيح لهم مقابل نصرتهم له نهب المدينة"[34].

– أنها فضاء دائم للقمع والعنف، ضد الآخر، يشير إلى ذلك ما يدور في هذا الفضاء من وقائع وممارسات تجسد دكتاتورية السلطة، من ذلك مشهد إبادة جماعية لأسرة الإمام الذي سبق الإمام الملثم بلا استثناء ثم رميت أشلاؤهم، يقول الراوي: "حملت أشلاء الإمام العاري وأسرته بداخل (غرائر) الصوف لترمى من شفة هاوية خلف القلعة"[35].

–أنها فضاء للاستلاب والخضوع والانهزام؛ فلم يصدر عن سكانها رد فعل مناهض أو صوت معارض للدكتاتوريات المتوالية على الحكم في صنعاء؛ إذ يصور ردَّ فعل الناس والنخب إزاء تهديد الإمام الملثم المشهد الذي يسرده الراوي: "دخلت مع الداخلين إلى الجامع.. اعتلى الملثم المنبر.. نظر إلى الصفوف الأمامية التي خصصت لوجهاء صنعاء وتجارها وكبار القبائل يراقب الصفوف المشرئبة من فتحة لثمته.. يخرج صوته متقطعًا.. متسللًا من بين طبقات لثمته.. تهز الصفوف الأولى رؤوسها علامة الرضا بما يقال.. يلوح بيده لتهتز رؤوس الصفوف الخلفية.. يلوح رجاله بعصيهم وفؤوسهم أمام صفوف صرح المسجد والساحات المحيطة فيهز الجميع رؤوسهم بالرضا والقبول."[36]. وفي هذا ما يؤشر إلى استبداد السلطة بالقدر الذي يشير إلى استلاب الشعب الذي لم يبدِ أية معارضة إزاء فعل سلطة القمع؛ فكل سلوكها يقابل بالرضا، ووسيلتها دائمًا لضمان الخضوع هم النخب الفاعلة والمؤثرة في المجتمع من وجهاء وتجار وكبار القبائل. وفي هذا تعريض بأن ما تمارسه سلطة الحاضر زمن إنتاج الرواية ما هو إلا امتداد لذلك النهج الذي مارسته السلطة قمعا وقهرا، في تلك الحقبة التاريخية التي تصورها الرواية؛ تأصيلا لهوية استلاب صنعاء في الحاضر.

– ومن الدلالات أيضًا اليأس من جدوى التغيير في هذا الفضاء؛ لأن نتائجه ستكون متماثلة مادام فاعلو التغيير يكررون وسائل من سبقهم؛ كاعتماد العنف والحروب وسيلة للوصول إلى حكمها؛ وذلك يقضي على الطاقات التي يعتمد عليها في التغيير نحو الأفضل؛ ذلك"أن حروب الأئمة وعشاق نصرة الله يسعون دوما لاستباحتها .. ولم يعد من سكانها إلا بضعة نساء وعجزة وجموع صبيان"[37].

كما تواتر استثمار الجهل الذي يسيطر على القبائل في كل التحولات السياسية التي مرت بها صنعاء في الحقبة التاريخية التي تصورها الرواية، كما جاء في وصف الراوي: "نهبت كل سلع الأسواق.. ولم يُصب سوق الوراقين بأي ضرر.. عدا حانوتين كسر باباهما وبعثرت محتوياتها على أرضية السوق"[38]؛ فالتركيز على سوق الوراقين ليس بريئًا، وإنما فيه إشارة إلى استغلال السلطة جهل القبائل المغيرة التي لا تقرأ، ودلالة أيضًا على الفقر، فهم يبحثون عما يسد جوعهم، ولولا الفقر ما اختاروا طريق النهب والسلب.

وهكذا تنطوي دلالات فضاء صنعاء المفتوح على دلالات عميقة، توحي بسوءات الواقع، وتعريه، وتفضح وسائل الساسة في الصعود إلى الحكم على جوع القبائل وجهلهم، وتزييف الوعي وشيطنة المخالف بادعاءات لا أساس لها من الصحة.

2-2-3 فضاء صنعاء المغلق (السجن):

إن إطلاق صفة ظلمة الله على السجن يكسب هذا الفضاء دلالة على انسداد الأفق والحيرة والتخبط وعدم الاهتداء إلى الحق؛ وهو ما يوحي بعجز فضاء صنعاء عن مساعدة الذات على اكتشاف الحقيقة وتحقيق هويتها المستقلة، وبهذا تصبح معادلا رمزيا للاغتراب الوجودي، ومن ثم فشل مشروع الفطرة لجوذر الذي كان أبواه يأملانه له كما جاء في تذكره لخطاب يائيل والدته: "ألا تعرف بأنا أردناك حرًا.. وأني أحافظ على عهدي على مضض.. أردناك أن تكتشف الحياة وتختار طريقك دون إملاءات.. أن تختلف عن كل ما حولك.. كلهم يتشابهون إلا أنت لا يشبهك أحد.. ولهذا أخاف عليك.."[39]، إذ إن ما انقضى من سني عمره حتى حدث السجن لم يشهد فيها اليقين؛ ومن ثم فإن قرار والديه تركه للفطرة في مثل هكذا فصاء تحكمه الصراعات المذهبية والاستبداد غير صائب؛ لأن فاعلية الفطرة في الوصول إلى الحقيقة تتطلب بيئة من الحرية واحترام العقل والتفكير؛ حتى تتحق الطمأنينة الداخلية واليقين الروحي، ولما خلا الفضاء الذي اكتنف وجوده من تلك الاشتراطات فقد

عاش حياة من العماء والحيرة نتيجة قرار والديه: " كلمات تحيرني "بأنا أردناك حرًا" حين تنطقها، أحتاج إلى وقت كي أفكر بما أرد عليها.. قد أفكر بأني ناتج لأنانيتهم وليس لحرصها وبشاري عليّ.. أو أنهم أرادوا أن يجعلوني في منأى عن تجاذباتهم.. وحتى لا يفقدوا تلك المشاعر التي بينهم بسببي فجعلوني ضحية.."[40]، وإذا كان تعدد الديانات داخل الأسرة الواحدة وترك أمر المعتقد للبحث والاختيار ينم عن الوعي الإنساني الحر فإنه في العمق يوحي بضبابية الرؤية؛ فلم يستطع أحدهما إقناع الآخر لركاكة المعتقد، واهتزاز اليقين، ومع أن جوذر في هذا الفضاء قد مر بمنعطف حياتي تمثل في بداية يقظته العقلية؛ نتيجة نضجه ومعايشته أحداث صنعاء، وسلوك الناس، قد جعله ينطوي على نفسه ويستبطن ذاته، متخليًا عن العالم الخارجي، فإن العالم الخارجي لا يألو جهدًا في إيذائه حسيًا ومعنويًا، بل هناك إرغامات على اعتناق عقيدة معينة وممارسة شعائرها التي لا تمت له بصلة.

– إن فضاء الظلمة يرمز للعزلة التي عاناها مجتمع الرواية واغترابه، وفقدان كينونته الحياتية، بفعل تحكم القلعة التي تمثل رمزًا للسلطة؛ فوجود الظلمة/ السجن أسفل القلعة يشير إلى قوة السلطة في الظاهر، بينما تضمر هشاشة الوجود الإنساني الذي تقوم؛ إذ يشكل السجن "انتقالًا من الخارج إلى الداخل.. من العالم إلى الذات. إنه محاولة تدمير الكائن بحرمانه من مجال الحركة، مع تجريده من جميع أشيائه"[41]

– يمثل فصاء الظلمة رمزا لليقظة الروحية؛ إذ كان جوذر قد واجه فضاء الظلمة بانكفائه على ذاته وتحويله إلى لحظة للتأمل في الذات والماضي ومراجعة المسار الذي مر بحياته قبل أن يسجن:" أنجو بذاكرتي من جديد أخرج من الظلمة، إلى فضاء أعماقي.. أكتشف بأني لم أعش كما يجب.. فلم أكن جريئًا بما فيه الكفاية.. هل رب أمي.. أو إله المعلم، أو أي إله سيحسب علي تلك الحياة؟.! أليس ذلك ظلمًا وعبثًا!. لو قدر لي أن أعيش حياتي من جديد ماذا سأفعل بها؟. أريد أن أكون جريئًا فحسب.. أن أعيش كما أريد"[42]. وهذا الفعل "يمثل انتهاكا رمزيا لواقع القمع في السجن"[43]، بالقدر الذي يتيح

لأي ذات "فهم ما جرى من أجل إعادة بناء ذاتها وبالتالي استعادة حريتها الفردية التي ظلت في حالة نفي"[44].

وبهذا فإذا كانت الظلمة – في الظاهر– هي سجن القلعة، فإنها– في الباطن– رمز للاغتراب و اليقظة الروحية والعقلية في فهم الذات، وبداية الوعي بحقيقة الحياة؛ فمراجعة جوذر كل ما تراكم لديه من خبرات بالواقع، ومن ملاحظات عن المجتمع، وتبدل الصورة والرؤية؛ كشف له عن تناقضات الحياة، و كل ذلك زاد من توجسه وشكوكه في أن يكون الحق هو ما يظهر أمام عينيه، وفي خطاباته المتوترة تحريض على تغيير الواقع، وتحمل في طياتها بحثًا عن يوتوبيا: "هل نحن نتغير؟ هل كل فرد غيره بالأمس؟ هل نعيش وهم أننا أنفسنا دون إدراك أننا كيان متحول.. وأن الشكل يحتوي كيانًا يتغير ويتغرب حتى على نفسه.."[45].

وهكذا يغدو فضاء صنعاء معادلا للاغتراب الوجودي للذات على مستوى الداخل والخارج؛ فتجربة السجن (ظلمة الله) لدى جوذر يمكن أن تمثل الاغتراب الداخلي؛ لأن السجن –بما مثله من فرصة في التأمل في ماضيه ومراجعة ما كان استقر في وعيه من أفكار ومعتقدات في ضوء هذا التحول –قد عمق شكوكه في ما كان يظنه حقيقة قبل حدث السجن، وبالمقابل فإنه بعد خروجه من السجن إلى فضاء الخارج كان يأمل أن يجد أمه وشوذب؛ اللتين تمثلان له اليقين في الخارج، ولما لم يجدهما فقد صار فضاء الخارج ظلمة أخرى؛ يقول:" تأكد لي أنني وحيد ..وأن ظلمة الله لا تكمن في باطن الأرض فحسب ... بل أنها تكمن هنا في أزقة ودور المدينة ..تترصدني أينما حللت"[46].

٣–2–3 مكة:

تبدو مكة في دلالتها الباطنة رمزًا لليوتوبيا المخيبة للآمال؛ فقد كانت قبل رحلة الراوي جوذر– وفقا لما تمثله في الذاكرة الدينية من دلالات روحية، كالسلام والعدل والمثالية– أملَه

في معرفة الذات، وغايته للشعور بالأمن النفسي والاطمئنان الروحي، وأن يجد، عبر التغير المنشود، تحولًا في حياته؛ فهو يرى أن تحقيق الذات، لا يكون إلا بامتلاك معرفة يقينية بالذات وخالقها، ولا يكون ذلك إلا عن طريق البحث؛ ولهذا كانت مكة هي هدفه وزيارة بيت الله غايته؛ فهي المدينة الفاضلة التي يشد المسلمون إليها رحالهم من كل أصقاع الأرض، وقد اكتملت خطته وقناعاته في زيارة مكة بفضل خطاب قانح، الذي أخرجه من ظلمة الجسد وظلمة الحيرة. وإذا كان للرحلة إلى مكة هدفان ظاهران؛ أولهما: الاشتغال بالنقش في قصر مكة، كما كان المبرر في قصر صنعاء، بينما ثانيهما – من منظور جوذر – يتمثل في البحث عن شوذب التي أحبها قبل أن يقذف في الظلمة؛ فإن الهدف الباطن لجوذر هو البحث عن الحقيقة؛ فشوذب ليست إلا رمزًا للحقيقة، وهي في مكة– مدينة الحقيقة– وإذا وجد الحقيقة عرف وجوده؛ فمضى في رحلة البحث إلى مكة، لكن بمجر الوصول إليها هالته صدمة المفارقة بين ما يحمله عنها من وعي مثالي وبين ما هي عليه من وجه سلبي في واقعها[47] ، وتتمثل في الآتي:

– أن حقيقة مكة ليست قدسية مطلقة؛ كما يروى عنها، لأن المعاينة توحي بأنها كأي مدينة أخرى، لها جمالها وقبحها، وبهذا لا تكون الفضاء الحقيقي للبحث عن اليقين.

– لا تكمن الحقيقة والسعادة حيث البطش والظلم، وفي مكة شواهد على بطش شريفها وتنكيله بالكثير ممن كانوا ضمن بعثة الملك الصليحي في قصر مكة؛ إذ قام عسكره بسلخ جلودهم أحياء، وإحراقهم، وفقئت أعين العجائز والعبيد[48]، وهو ما أزعج جوذر الذي يبحث عن مدينة فاضلة تشعره بإحساس مختلف عن صنعاء: "كنت حزينًا وأنا أتصور تلك الطاقة التي يحملها كل منا كيف تتحول إلى قدرة على البطش والقسوة والتنكيل بعد أن كانت طاقة كامنة بسلام..."[49]، وكانت ردة فعله: "جبال مكة لا تحمل الحياة"[50].

– أن اليأس من وصول جوذر إلى شوذب/ الحقيقة في نهار مكة قد دفعه إلى البحث عنها في ليالي مكة؛ أي العودة إلى ظلمة من نوع آخر؛ وهو ما يعني أن مكة لا تختلف عن صنعاء في إعاقة الذات عن الوصول إلى الحقيقة.

– الحقيقة لا توجد في مكان يستغل الجسد، في العبودية والدعارة، ومكة ينتشر فيها الرق والرذيلة: " قال لي جعدن بأنه يخرج ليتتبع الأخبار.. يبحث عن بصيص أمل.. وأن الجواري الهاربات يتماهين بين الناس، فمكة متاهة كبيرة.. والنساء في المدينة مطلوبات خاصة الحسناوات.. فدوامة الرق والدعارة تبتلع كل شيء.. وأن شوذب ستكون في مأمن إن لجأت إلى أطراف مكة.. فهناك تضعف سطوة العسس.. لتتحول تلك الأحياء إلى قاع للمدينة.. حيث مجتمع البدو والخمور والحشيش والدعارة والموت"[51]؛ وعليه فالحقيقة والسلام والأمن النفسي لا يمكن لها أن تتحقق في ظل ملاحقة السلطة؛ لذا فقد أطلق (مأمن) في حال الخروج من مكة، للدلالة على أنه لا أمن داخل مكة.

وفي ضوء تلك المفارقات، يتجلى لمكة في الباطن دلالات، أهمها:

- أن وراء وجه مكة المعروف بوصفها مدينة الروح والفضيلة، وجها باطنا يتمثل في أنها مدينة للجسد والسقوط في الرذيلة، يؤكد ذلك الحوار الآتي مع أم فاطمة:

" جلست إلينا وقد أشرق وجهها:

– أتبحثان عن امرأة.. أم امرأتين؟!.

رد عليها رفيقي وهو ينقل ناظريه في عيني وجهها:

– امرأة واحدة.. واسمها شوذب!

– ليست مهمة الأسماء لدينا.. وإن كنتما مصممين يمكن أن آتيكم بشوذبات.. الأهم أن تكون فاتنة.. كما قلت أليس كذلك؟!.– حسناء!.

– حسناء أو فاتنة لا فرق"[52].

ولأنها مدينة جسد؛ فالبحث عن الجسد يتم ليلًا، كما تنصح بذلك والدة أم فاطمة؛ لأن البنات الملاح يتفرغن ليلا! [53]؛ فإنها تتحول إلى ظلمة، كفضاء صنعاء، ومن ثم فمكة تخالف الغاية التي جاء جوذر من أجلها. وهو ما يفضي إلى أن لمكة وجهًا آخر خفيًا، يتمثل في غياب الحقيقة عن فضائها؛ فأهل مكة لا يعلمون عن الحقيقة شيئًا، فهم بعيدون عنها؛ لأن جهلهم بشوذب، هو الجهل بالحقيقة، وأن مكة هي المكان الخطأ في البحث عن الحقيقة.

– يترتب عن الدلالة العميقة السابقة لمكة دلالة عميقة أخرى؛ تتمثل في أن ما يمكن أن نعده مقدسًا، وما نراه رمزًا للطهر، ومن يتزيا بزي الإيمان والتقوى، كل ذلك قد يبطن العكس، فقد تكون الحقيقة هي الضد من ذلك كله؛ يقول الراوي: "جبال مكة لا تحمل الحياة"[54]، ويقول رفيقه جعدن: "هي ليست الكعبة ولا تلك الوجوه المتعبدة"[55].

– أن بعضا مما ترسخ في الوعي بوصفه حقيقة قد يخفي ضدها؛ فمن الجماعات من يدعو لله ويقاتل لأجل الله، إلا أن الوجه الآخر له هو عبادة الأصنام، سواء أكانوا زعماء الجماعات أم مرجعياتها، نستشف ذلك من حكاية الأصنام التي كشفت في أساس الكعبة[56].

– إن مكة رمز لكل فضاء يشكل مركزًا دينيًا، والسرد المتعلق بها يحمل دعوة مبطنة لهدم النماذج، والمراكز الثابتة، والتنبه إلى أن بعض ما يعد ثابتًا يخفي وجهًا آخر، والمرجع الثابت يقود إلى الجمود ويجبر على الاتباع دون هدى.

وهكذا كان الباطن على مستوى الفضاء ذا دلالات رمزية تشير إلى اختلالات إيديولوجية وحضارية وروحية، فضلا عن ما تنطوي عليه من مسكوت دلالي يكمن في اهتزاز اليقين بالثوابت كما يشير إلى ذلك خيبة الأمل من رحلة جوذر إلى مكة– في البحث عن الذات/ الحقيقة، ويستتبع تلك الدلالة اليأس من تغيير سوء الواقع، وقبحه مادامت تلك اليقينيات الموروثة تتحكم بفاعلية في حاضر هذا الفضاء .

4- خاتمة:

تأسست رواية (ظلمة يائيل) في صياغة كونها الحكائي وعوالمها الممكنة على ثائية جدلية يمكن اختزالها في (الظاهر والباطن)؛ إذ يشير البعد الأول (الظاهر) إلى الدلالة السطحية، بينما يشير الآخر (الباطن) إلى الدلالة الرمزية العميقة التي تستكشف وفقا لإمكانات القارىء التأويلية، وقد اقتصر التحليل على تناول الشخصية والفضاء بوصفهما أنموذجين للاستدلال على بناء الرواية وفقا لهذه الجدلية، وكانت النتائج على النحو الآتي:

- كان الظاهر على مستوى الشخصية ذا وجهين مختلفين؛ فبعض الشخصيات تحمل قصة حياة تختلف اختلافًا تامًا في نهاية السرد عن التصور المتكون عنها في بداية السرد.

- إن الباطن على مستوى الشخصية يكشف دلالات متعددة، ومفتوحة على المستوى السياسي والثقافي والاجتماعي؛ فالرواية تستدعي من التاريخ، سيرة جوذر شخصية- أحد الشخصيات التي قمعت لاختلافها عن نهج السلطة وهمشها خطاب التاريخ- بوصفه رمزا لمعاناة المثقف الحر المختلف في سبيل البحث عن الحقيقة في مجتمع الرواية في الحاضر، والكشف عن الأقنعة التي تواري بها السلطة فسادها، وقد مثلت(شوذب) رمزًا للحقيقة الغائبة والسلام المأمول والمجتمع الفاضل المنشود بديلا عن سوء الواقع.

- كان الفضاء في الظاهر فضاء خراب وهدم وسلب ونهب، كما هو حال صنعاء، وفضاء استبداد وقمع، وهو مصير مؤبد ما لم تحدث متغيرات سياسية. وكما تمثل مكة فضاء للسلام والطهارة والنقاء، يحمل جانبها الآخر دلالة المكر والبطش والقتل والانحراف القيمي.

- كشف الباطن على مستوى الفضاء الذي ينبثق من تأويل القارئ لما يضمره الفضاء في تفاعله مع الشخصيات، عن دلالات اجتماعية وثقافية وإيديولوجية، تعري زيف الحاضر في فضاء الرواية وتعري مدى تخلفه عن جوهر الحقيقة الإنسانية، وما يعتريه

من انتكاسات روحية وحضارية، جسدتها الرواية رمزيا في خيبة مسعى الذات في البحث عن الذات/ الحقيقة في الفضاء التاريخي البشري (صنعاء) أو المقدس(مكة)، وبهذا يغدو الفضاء في ظلمة يائيل علامة على اليأس من تغيير قبح الواقع في فضاء الرواية المعاصر.

6- الهوامش والإحالات:

[1] ينظر: معجم مصطلحات نقد الرواية، لطيف زيتوني، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، 2002، ص112.

[2] النص الروائي، مقاربة بنيوية تكوينية في أدب نبيل سليمان، محمد عزام، دار الحوار، اللاذقية، 1996، ص 85.

[3] ظلمة يائيل، محمد الغربي عمران، مركز عبادي للدراسات والنشر، صنعاء، 2012، ص99.

[4] نفسه، ص125.

[5] نفسه، ص23، 25، 26، 108،

[6] نفسه، ص108.

[7] نفسه، ص115.

[8] نفسه، ص114.

[9] نفسه، ص116

[10] نفسه، ص386.

[11] نفسه، 387.

[12] نفسه، ص262.

[13] ينظر: نفسه، ص316، 317.

[14] المثقف والسلطة، دراسة تحليلية لوضع المثقف المصري في الفترة من 1970- 1995، مصطفى مرتضى علي محمود، دار قباء، القاهرة، 1998، ص20.

[15] ظلمة يائيل، ص107.

[16] نفسه، ص124.

[17] نفسه، ص115.

[18] نفسه، ص317.

[19] نفسه، ص138.

[20] ينظر: نفسه، ص108، 114، 116.

[21] نفسه، ص115.

[22] خطاب الجنون، الحضور الفيزيائي والغياب الثقافي، الاستبعاد والنفي، أحمد آل مريع، مكتبة العبيكان، الرياض، 2014، ص217، 218.

[23] ينظر: تجليات «عدن» في الرواية اليمنية: التمظهرات والقضايا والأبعاد، عصام واصل، عالم الفكر، العدد 183، 2012، ص 57 - 58.

[24] بنية النص السردي من منظور النقد الأدبي، حميد لحمداني، المركز الثقافي العربي، بيروت، 1991، ص63.

[25] ظلمة يائيل، ص30.

[26] نفسه، ص 51.

[27] نفسه، ص 131

[28] النقرة في اللهجة اليمنية حفرة خلف البيت بموازاة فتحة الحمام لإسقاط مخلفات الساكنين فيها، ومع ذلك فإن لها أصلا في الفصحى، فالنقرة كما يقول ابن منظور: " حفرة في الأرض صغيرة ليست بكبيرة.". لسان العرب، ابن منظور، دار صادر، بيروت، دت، 5/ 229.

[29] ينظر: ظلمة يائيل، ص131، ومابعدها.

[30] نفسه، ص323.

[31] نفسه، ص325، 326.

[32] نفسه، ص337.

[33] نفسه، ص335.

[34] نفسه، ص51، وينظر على سبيل المثال: ص30، 31.

[35] نفسه، ص42.

[36] نفسه، ص43.

[37] نفسه، ص42.

[38] نفسه، ص31.

[39] نفسه، ص145.

[40] نفسه، ص146.

[41] العجائبي في الأدب من منظور شعرية السرد، حسين علام، الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت ومنشورات الاختلاف الجزائر ، ٢٠١٠، ص170.

[42] نفسه، ص147، 148.

[43] سرديات ثقافية من سياسة الهوية إلى سياسة الاختلاف،محمد بو عزة ، منشورات ضفاف الرياض، دار الأمان الرباط، ومنشورات الاختلاف الجزائر ، ٢٠١٤، ص ٥٩.

[44] نفسه.

[45] ظلمة يائيل، ص121.

[46] نفسه، ص١٩٦.

[47] ينظر: نفسه، ص ٣٢٥، ومابعدها.

[48] ينظر: نفسه، ص325، 326.

[49] نفسه، ص326.

[50] نفسه، ذاتها.

[51] نفسه، ص329.

[52] نفسه، ص331.

[53] ينظر: نفسه، ص332، 333.

[54] نفسه، ص327.

[55] نفسه، ص328.

[56] ينظر: نفسه، ص352.

قائمة المراجع:

- بنية النص السردي من منظور النقد الأدبي، حميد لحمداني، المركز الثقافي العربي، بيروت، 1991م.
- تجليات «عدن» في الرواية اليمنية: التمظهرات والقضايا والأبعاد، عصام واصل، عالم الفكر، العدد 183، 2012م.
- خطاب الجنون، الحضور الفيزيائي والغياب الثقافي، الاستبعاد والنفي، أحمد آل مريع، العبيكان، الرياض، 2014.
- سرديات ثقافية من سياسة الهوية إلى سياسة الاختلاف، محمد بو عزة، منشورات ضفاف الرياض، دار الأمان الرباط، ومنشورات الاختلاف الجزائر ، 2014.

- ظلمة يائيل، محمد الغربي عمران، مركز عبادي للدراسات والنشر، صنعاء،2012.
- العجائبي في الأدب من منظور شعرية السرد، حسين علام، الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت ومنشورات الاختلاف الجزائر ، 2010.
- لسان العرب، ابن منظور، دار صادر، بيروت، دط، دت.
- المثقف والسلطة، دراسة تحليلية لوضع المثقف المصري في الفترة من 1970- 1995، مصطفى مرتضى علي محمود، دار قباء، القاهرة، 1998.
- معجم مصطلحات نقد الرواية، لطيف زيتوني، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، 2002.
- النص الروائي، مقاربة بنيوية تكوينية في أدب نبيل سليمان، محمد عزام، دار الحوار، اللاذقية، 1996.